حبل الأبد فى الأدب

بقلم أمين نخله

فى كفة الغروب أمس ، بعد أن مال ميزان النهار ، وغشى السواد الشفق ، كنت أسألهم ألا يوقدوا المصباح فى وجه الليل . بل ندع العتمة تتساقط على مهل وتتلبد ، حتى إذا غمر السواد الجهات ، غرق عبث الحياة فى الليل ، وسلم الأمر . . . وهل مطلبى من الحياة غير هذا ؟ !

ثم أشرف من النافذة ، فاذا المدينة قطعة واحدة فى جوف الليل . خفى الشتات ، وتألفت الدقائق ، ومسح على الفضول . فلست أرى ما يتعالى فى المشهد الأسود المنطرح إلا ذؤابات الأبنية تشمخ ، وكأن بعضها فى رأى العين يمشى الى بعض ، فتتلاقى وتتساند بعد البياض الفانى ، والعبث المولى !

— وهذا قمر الليل ، يقهقه بلا صوت . . . ولقد جنح الى المنحدر الآخر ، كأنما يزلق من هنالك ، فتدفق الفضة دفقاً ، غير العهد بها فى مقاطر الصحو الأزرق ، حين تنقط ولا تبل الأرض !

والليل فهرس البياض المنطوى ، ترى فيه العناوين ، وعفاء على الحروف الضئال ، والتنقيط المنمنم فى كتاب النهار . فالعمود البعيد القائم الساعة ناحية الجنوب ، ولا أتبين ما حواليه ، عنوان طويل لبناية المسجد ، ولقد خفيت المقالة وسلم العنوان . . .

* * *

وإننا فى الأدب على أعقاب جيل مال ميزانه ، وطفقت العتمة تتساقط عليه ، فعما قليل تغمر نوافله ، وتبلغ توافهه . ولا يسلم منه فى الغرق الأعظم إلا العناوين الجديرة بالسلامة ! ويسلم القمر ذو القرص الباقى ، والشعاع المجدد

كنا فى (الباروك) (١) — فى مطلع الصبى — نجول بالضاحية ، حيث كان (لامرتين) يهبط الخضرة والنوم على الينابيع . أو نصعد فى الهضبات حيث مر جواد (أبى الطيب) . . . (وعقاب لبنان وكيف بقطعها) . فيقول واحدنا للرفقة :

— ترى أى شىء من هذا الريف لفت صاحبنا ؟ ! !

وكنا بعد لم نتعلم التريث فى الجواب ، فتنطلق الاجوبة فى الرفقة كما يهتاج العش ! فالطاحون الذى يهدر حتى آخر الابد عند الشجر ، كأنما يهوم للجمال الاخضر فينعس وينام ، قد افتتن به (لامرتين) ولا ريب ! وافتتن بالبحيرات الصغيرة التى يبسطها النهر بين مرجين حين يتمهل — وهى لا تبرح الى اليوم تنتظر (صاحب البحيرة !) ويدرب النهر ساعة تحدر الفلاحات بالجرار الحمراء فى العشايا ، ويسلن فوجا غب فوج ، فيغدو الدرب نهراً للاحاديث والغبطة يدفق من الضيعة إلى الوادى . . .

أما (أبو الطيب) وهو لم يعرج على الباروك فى (وعقاب لبنان وكيف بقطعها) فقد كان حسبنا منه ، أن يلتفت فى رأس الجبل إلى خيمة الناطور التى تتلاقى عليها عيون القرويين من كل حقل . فثنى رأس جواده ! ويطل من شاهق — وهو الشتاء (٢) — على البساط الابيض الذى تقيم عليه أيام الثلج فى (الباروك) !

كذلك كنا فى الصبى الأول ، نحسب الدنيا تبتدىء . ويخيل الينا أن (لامرتين) كان عندنا أول أمس ، وكان (أبو الطيب) أول من أمس . وأن خيمة الناطور تلك ، وطاحون الوادى ودرب النهر ، معالم ثابتة على الزمن ، بذهابها ذهاب الباروك والينابيع

إذن فتصور شعبا ينصت الى نشيده الوطنى وقد دبجته يراعة اديب قدير فحوى من معانى الوطنية ارفعها واسماها ، وحرك من نفوس الناس اشرف العواطف وارقى درجات الشعور ، فتحفزت نفوسهم واستعذبوا الموت فى سبيل الوطن .

— والأدب بعد ذلك ناحية عامة لا تقل شأنا عن تهذيب النفوس وصقل العقول واحياء العواطف السامية فى القلوب ، فأدب الأمة صفحة صادقة من تاريخها كتبتها طائفة من ابنائها فلم تتحيز ولم تظلم ، وانما دونت فيها شعورها الخالص وحسها الصادق . ولذا عنيت كل الأمم بالآداب واحلتها المحل اللائق بها ، وانزلت أهلها المنزلة التى تتفق وما لآثارهم الادبية من قيمة فى الحياة . فلولا الأدب لكانت حياتنا جافة لا تحتمل ، وعبئا ثقيلا لا يطاق .

الاسكندرية — محمد قدرى لطفى

---

(١) قرية فى لبنان ولد بها الكاتب .

(٢) بيت أبى الطيب :

وعقاب لبنان وكيف بقطعها — وهو الشتاء — وصيفهن شتاء

والربوات والشجر وهاتيك الدنيا الصغيرة !! فلما كبرنا عن الصبي وكبرت الدنيا وصغرت (الباروك) — وكانت خيمة الناطور قد سقطت واندك الطاحون ، وعفت الدروب على النهر — لم يذهب من القرية شيء ! بل ظلت لنا (الباروك) قرية بنهر وجبل وضاحية ، كما كان عهدنا بها أول العمر . ذهب الناقل من ذلك الجمال الباروكي في غرق الايام وعتمة السواد ، وسلم ما ينبغي له . فلو مر جواد (أبي الطيب) في رأس الجبل لتناه راكبه ، ووقف يتلفت ! ولو نزل (لامرتين) بين البحيرات والدروب لآنس نعيما وظلا واخضراراً !!

• • •

هكذا نقول لاصحابنا في مشادة العبث بين (القديم والجديد) ، فالزمن يمسح الناقل ، ويبقى على المتحتم النافع - وليس في الادب قديم ولا جديد ، بل الأدب كد على الحق ، وولع بالجمال . تسقط عتمة الآباد الف مرة على الصنيع الفني الذي غمس بألوان الوله والسمد وهو السالم الباقي لا يأخذ الليل منه حرفا !

فالحسن — من على كل جيل . والتافه تافه أبداً . ما أخر القدم قيد شبر ، ولا قدمت الجدة قلامة ظفر

ولقد سبقنا الى الدنيا ، وجاءها اناس كلفوا بالجمال والحق . وداروا على اللباب في الدروب . فآنسوا نارا ثم انفوها ونزلوا رماداً . فكيف يسوغ لنا ، ونحن في الدرب من وراثهم ، أن نقطع مابيننا وبينهم ، ويقال أدب قديم وأدب جديد ؟ ؟ !

ان الكدح القاسي في صعيد الفكر ، والتضحية السمحة على مذبح (فينس) ، والتنقيب في رياض الصحيفة عن الدنا المنحجبة ، كل هذه عرفها الرصيف القديم (بين الدخول فحومل . . .) ..

فطلب البلاغ الحر ، وقلب النسق في الصنيع الفني ، وابدال الوانه وصبه على شكيلة الحياة القائمة كانت في وكد الاساتذة السالفين جيلا تلو جيل . وهكذا يقال في شيوع الخاطر من المستهل الى المقطع ، وفي تماسك الحس الذي لا يبذل للنور نفسه ، وفي الميسم المطبوع والنفس الخاص ، وفي المعنى الذي يسكن المبنى ولا يمد ساقيه على بجوحة اللفظ — ذلك كله كان من اغراض الاساطين فيهم ، يوفقون اليه حينا وينكصون عنه حينا . فليس الادب ابن يومه ، ما خطرت مطالب الحياة منه على بال احد في الزمن لتقوم الضجة علينا ، ويتنادوا بالويل بعد ان أردنا الأدب حياة وقوة وخلق

تطور الفلسفة

بقلم علي محمد راضي
لبناني في التربية والآداب

الانسان المدرك رأس هذه الخليقة التي تدرجت نحو استكمال نموها حتى تمخضت عنه . ومتى ادرك ماحوله اعمل فكره في تعليل ما يرى ورجع الى نفسه يبحث انفعالاتها وآثار ارادتها ، فهو اذن فيلسوف بطبيعته ، ومدفوع للتفكير بحكم وجوده وعمل حواسه وعقله

واذا عني الباحثون بدراسة الحفريات لنوع واحد من الكائنات ليصلوا الى مقدار تطور حياته فما أولى طلاب العلم أن يصلوا بين حلقات تفكير الانسان منذ سكناه الكهف وصيده الوحش لاستخدامه الكهرباء واكتشافه مغناطيسية الحياة

الطبيعة والانسان متلازمان ، وبينهما أوثق الروابط . . هي معلمته التي تلقى عنها أول دروسه ، وهي موضع بحثه منذ اللحظة الأولى لوجوده ، يكافحها مرة فتتسع دائرة مجهوده وتفكيره ، ويستخدمها مرة فيبني صرح تقدمه وعظمته . ولكنها ضنينة باسرارها ، وهذا ما يبعثه على اعمال الفكر في تعليل مظاهرها وتكليف نفسه مشقة البحث عن أصل وجودها وعلة استمرارها

أبصر من مظاهر الطبيعة مالم يساعده عقله « الطفل » على فهمها ، وعجز عن التعرف على أسبابها ، فأحال صدورها الى قوى لايدركها تماما ، وما دامت لاتخضع لارادته أنها أقوى منه واشد

جناح . . وأطفأنا الشمس باكفنا ! ! !

وعندي أن الاساتذة الموتى الذين سلكوا السبيل قبلنا — وكأنهم مضوا ليفسحوا لنا المواضع — من حقهم أن يطرقوا خواطرنا ، وأن يرشفوا قليلا من الحياة في الفاظنا . فهم ، رحمهم الله ، لم يبق لهم من سبيل الى الضياء الا هذه الحروف التي تشع فيها خواطرنا

هذا حال الادب هيهات أن ينقطع . والأدب بشرى قبل كل شيء ، فليس في استطاعة أحد أن يقطع الحبل ! والأدب أخو الحياة لا قديم فيه ولا جديد ، بل هو وله بالجمال وكد على الحق ، وما عداهما فهراء ! ؟

لبنان — أمين نخله